إذا حركت ، كان النبي صلعم يشغل بها الحسن والحسين[1] رضه عنهما . وفى قبلة المنبر ، مائلا إلى الشرق قليلا ، عمود من أعمدة المسجد قد قطع فيه قدر شبر ، ودخل فى جوف العمود الجذع الذى حن لرسول الله [2] صلعم .

صفة المحراب

المحراب ليس فى وسط (ا) حائط القبلة ، إنما هو أميل إلى الشرق بـ ٢٠ ذراعا [3] . والقبلة مرخمة وعلى الترخيم مكتوب ، من باب الرحمة إلى باب السلام ، من أول سورة « والشمس وضحها » إلى آخر سورة « قل أعوذ برب الناس »[4] الخ . وعلى جانب المحراب كوكب كبير ، وفى وسطه حجر من ياقوت أزرق يذكر أنه وسط عقد فاطمة الزهراء رضه . وفى قبلة المسجد عن يمين المحراب باب صغير ، تحت المقصورة فى وسط البلاط ، يهبط منه على درج إلى باب كان يسكن فيه آل عمر [5] رضه .

عدد أبواب مسجد النبي صلعم

وللمسجد ٢٠ بابا : منها فى الجانب الشرقى ٧ أبواب (ب) مربعة بمصاريع مشرجبة ، وفى الجانب الغربى كذلك منها باب صغير بدفة ، وهو قوس

(ا) « وسط » ناقصة فى ح (ب) القراءة فى ح : عشرة سبعة أبواب .

(١) قارن ابن جبير ، ص ١٩٢ – ١٩٣

(٢) أنظر ابن النجار ، المخطوط ، ص ٢٤ – ب ، ٢٥ – ا .

(٣) قارن ابن رسته ، ص ٧٥ . يؤكد العبدرى (المخطوط ، ص ١١٩ – ا) أنه يقع إلى الغرب أكثر منه إلى الشرق .

(٤) القرآن ، سورة ٩٣ ، آية ١١٤ . عمر بن عبد العزيز هو الذى أمر بنقش هذه الآيات على القبلة . أنظر ابن رسته ، ص ٧٠ ؛ ابن النجار ، المخطوط ، ص ٣٢ – ا .

(٥) يقول ابن النجار (المخطوط ، ص ٣٢ – ا) إن هذه الفتحة كانت باب مسكن آل عمر بن الخطاب . وإنه عند ما أمر المهدى بتوسيع المسجد سدت ، ولكنه عند ما صالح العمريين أعاد فتحها وجعل لها ثلاث درجات وباب تحت الأرض (قارن ابن رسته ، ص ٧٣) . ويقول ابن جبير (ص ١٩٢ – ١٩٤ ؛ ابن بطوطه ، ص ٢٦٤) إن هذا السرداب يؤدى إلى مسكن آل أبى بكر .

ليس للمسجد باب بقوس غيره (ا) . وفى الجانب الجوفى ٤ أبواب أيضا كبار ، وباب فى القبلة ، وباب تحت المقصورة التى تقدم ذكرها [1] .

عدد ما فى المسجد من العمد (ب)

وجميع ما فى المسجد من العمد ٢٧٦ عمودا [2] . وللمسجد ٣ منائر على ٣ أركان [3] : منها على ركن القبلة الشرقى منار ، وعلى الغربى منار ، وعلى ركن مؤخر المسجد منار . والمسجد مبسوط مقدمه ومؤخره ومُجنَبَّته بالحصى الأدكن . وكان فى البلاط الأوسط عام ٥٢٨ [= ١١٣٤] وطاء طبرى (ج) مُبطَّن . وجميع جدره مُرَخَّمة قدر قامتين أو أزيد قليلا ، وصحنه مبسوط بالحصى ، وهو مغروس بالنخيل . فى البلاط الشرقى بناء قائم يشبه المحراب ، ذكر أنه كان موضع صلاة فاطمة رضه . وفى الجوف (د) ، فى وجه البلاط فى الصحن ، بناء قائم كأنه بيت ، ذكر أنه مخزن المسجد .

عدد مافيه من القناديل

وفى المسجد من القناديل ٢٨٤ (ر) قنديلا [4] ؛ وكان يحرق كل ليلة ١٠ أرطال من الزيت .

(ا) « بقوس غيره » ناقصة فى ج . (ب) ب ، م : العمود .
(ج) ب : صبرى ، ح : وطاصبر . (د) « فى الجوف » ناقصة فى ب .
(ر) القراءة فى النص : ثلاثمائة قناديل الا ستة قناديل .

(١) حسب ابن رسته (ص ٧٥) كان للمسجد ٢٢ بابا سنة ٢٩٠=٩٠٢ . وعند ما يتكلم عن فتحات المسجد بالتفصيل (ص ٧٧) يقول إن المسجد ٢٤ بابا ، ولكنه لا يعدد منها سوى ٢٠ فقط . المقدسى ، ص ٨٠ (٢٠ بابا) ؛ ابن عبد ربه ، العقد ، ج ٣ ص ٣٦٦ (المسجد ١٨ بابا . ولكن المؤلف لا يعمل حساب باب حائط القبلة ولا باب المقصورة) . ابن جبير (ص ١٩٥) يعد منها ١٩ بابا . ومما يلفت النظر أن العبدرى (المخطوط ، ص ١٠٩ – ا) لا يعد منها إلا ٤ أبواب .

(٢) يروى ابن رسته (ص ٧٦) أن عدد الأعمدة ٢٩٦ عمودا . وابن جبير (ص ١٩٣) يعد فى المسجد ٢٩٠ عمودا .

(٣) يقول ابن رسته (ص ٧٠) إنه بعد إضافات الوليد بن عبد الملك أصبح للمسجد ٤ مآذن : واحدة فى كل زاوية . ولكنه عند ما يتكلم عن المآذن بالتفصيل (ص ١٧٦) لا يذكر منها إلا ثلاث . والحقيقة أن إحداها هدمت على عهد سليمان بن عبد الملك . أنظر ابن النجار ، المخطوط ، ص ٣٢ – ا ؛ ابن عبد ربه ، العقد ، ج ٣ ص ٣٦٦ ؛ ابن جبير ، ص ١٩٥ .

(٤) قارن ابن رسته ، ص ٧٦ (٢٩٠ قنديلا) .

صفة بقيع المدينة [1]

بقيع المدينة من ناحية الشرق ؛ فأول ما تلقى إذا خرجت إلى البقيع قبر مالك رضه ، وهو قبر مهمل مبنى بالحجر والطين مرتفع من الأرض نحو ٤ أشبار . وعند رأسه حجر أدكن منقوش تاريخه من يوم مات . ثم تسير منه قليلا وقد بصقت القبور موتاها ورفضت الأرض جميع ما دفن فيها من صغير وكبير ، ولم يبق فى بطنها منهم شئ إلا رفضته (ا) على وجهها . فلم يبق عضو من أعضائها ولا عظم من عظامها ، ولو كان مقدار خردلة إلا وخرج على الأرض من ناس أهل المدينة خاصة . وترى البقيع شبه المقتلة من دفن قديم وحديث وجماجم الموتى بالية قديمة وأخرى حديثة ، فهذا عبرة لمن اعتبر . ثم تسير قليلا فتلقى روضة العباس بن عبد المطلب رضه ، ثم روضة إبراهيم ولد النبى عم ، ثم روضة عثمان بن عفان رضه ، وروضات كثيرة [2] .

صفة مسجد قُبا [3]

وهو مسجد على ثلاثة أميال من المدينة ، تصلى فيه إذا مررت به . وهو مسجد مربع طوله ٧٠ ذراعا [4] وعرضه كذلك ، مقدمه ٣ بلاطات ، ومؤخره مع مجنبته سقيفة واحدة على أعمدة من خرز ملبسة بالجيار عددها

(ا) ربما كانت كلمة لفظت هنا خير من كلمة رفضت الموجودة فى النص .

(١) تسمى مقبرة المدينة بقيع الغرقد لأنها كانت مغطاة بالنباتات الشوكية المعروفة بالغرقد . أما كلمة بقيع فمناها المكان المزروع بعدد من أنواع الشجر . أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٠٤ وهامش ٢ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٧٠٣ ؛ البكرى ، المعجم ، ج ١ ص ١٧٠ ؛ ابن جبير ، ص ١٩٥ ؛ المقدسى ، ص ٨٢ ؛ ابن النجار ، المخطوط ، ص ٤٩–ب

(٢) قارن ابن جبير ، ص ١٩٦ ؛ ابن النجار ، المخطوط ، ص ٥١ – ا ؛ العبدرى ، المخطوط ، ص ١٠٨ – ب ؛ ابن الأثير ، ج ٣ ص ١٤٤ .

(٣) ابن جبير ، ص ١٩٧ (ابن بطوطة ، ص ٢٨٨) ؛ ابن النجار ، المخطوط ، ص ٣٤ – ا ؛ الاصطخرى ؛ ص ١٨ ؛ ابن حوقل ، ص ٢٦ ، ابن الفقيه ، ص ٢٦ ؛ المقدسى ، ص ٨٢ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢٣ .

(٤) يقول ابن النجار (المخطوط ، ص ٣٦ – ب) إن طوله ٦٨ ذراعا وعرضه مثل طوله . ويكتفى ابن جبير (ص ١٩٧) بأن طوله مثل عرضه .

٤٢ عمودا [1] ، وله ٣ أبواب بلا مصارع [2] وعلى ركن مؤخر المسجد مكتوب عن يسار من استقبل المحراب : « إن النبى صلعم دخل على أم أيمن وهى حزينة فقالت له ليس عندى ما أحج به فقال لها صومى أيام العشر ثم ايت مسجد قُبا يوم عرفة فصلى فيه ركعتين تنقلبى بثواب حجة » [3] . ومكتوب أيضا أن سعد بن أبى وقاص رضه قال : « لئن آتى مسجد قبا فأصلى فيه ركعتين أحب إلى من أن أزور بيت المقدس مرتين . ولو علم الناس ما فى مسجد قبا لضربوا إليه آباط الإبل » [4] .

وبئر قبا التى مضمض النبى صلعم ومج فيها وكانت ملحة فعذبت ببركته [5] صلعم ، وهو بغربى المسجد . وبيت سعد بن خيثمة الأنصارى الذى كان يقيم فيه النبى صلعم بين المسلمين ، هو قريب من ركن المسجد الغربى [6] . ومن مقدم المسجد والشجرة التى كانت تحتها البيعة سقف ، وذلك السقف جزع وهو مغطى بالألواح [7] .

صفة قبور الشهداء بأُحُد رحمة الله عليهم

وقبور الشهداء فى أصل جبل أحد [8] ، أقرب ما يكون منها بأحُد حطير (ا) مبنى من حجارة ارتفاعه إلى المحزّم (ب) ، فيه من القبور ٣٧ قبرا (ج)

(ا) ب ، م : يحضير . (ب) ب : المحرم . (ج) ب و ح : منبرا .

(١) حسب ابن النجار (المخطوط ، ص ٣٦ – ب) يكون عدد الأعمدة ٣٩ عمودا .

(٢) يقول ابن جبير (١٩٧) إنه ليس له إلا باب واحد .

(٣) أم أيمن هى مربية النبى (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ١٠٠) . أما فيما يختص بفضل هذا المسجد فيروى ابن النجار (المخطوط ، ص ٣٦ – ٦) أن النبى قال : « من توضأ وجاء مسجد قبا فصلى فيه ركعتين كان له أجر عمرة .. » . وقارن ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٢ ص ٩

(٤) أنظر ابن النجار المخطوط ، ص ٣٦ – ا .

(٥) أنظر ابن جبير ، ص ١٩٧

(٦) أنظر مقال دائرة المعارف الاسلامية .

(٧) أنظر البكرى ، المعجم ، ج ٢ ص ٨٠١

(٨) أحد هو أقرب الجبال إلى المدينة . وهو جبل أحمر على بعد ميل تقريبا من شمال المدينة ، وقربه دارت معركة أحد الشهيرة حيث استشهد ٧٠ من صحابة النبى . ياقوت ، =

مغطاة بالجندل . وقبر العروسين معاذ بن عمرو بن الجموح وصاحبه معاذ بن عمر اللذين أمر النبي صلعم أن يدفنا فى قبر واحد(1) ، وهما بعربى ذلك الحظير ، بينهما قدر رميتين بحجر ، وعليه لوحان مكتوبان الواحد من مسن المدينة والآخر من خشب . وقبراهما مقبو عليهما ، ارتفاعه قدر القامة عنده ١٢ قبرا . وأسفل من الحظير قبر حمزة بن عبد المطلب(2) ، وقد بنى حوله حظير ، وقطع منه مسجد وقبر . والقبر فى الحظير أمام المسجد غير ممهد ، عند رأسه لوح من مسن المدينة فيه مكتوب : « هذا قبر حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلعم ، أسد الله وأسد رسوله . سيد الشهداء وقائدهم إلى الجنة . شهد بدرا وقتل يوم أحد رضه » . وعند ظهره لوح مكتوب فيه : « إن الله أشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون » إلى آخر الآية (3) . وعند رجله لوح مكتوب فيه : « إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » (4) . « هذا قبر حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله وأسد رسوله ، شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيداً » .

ومن ذلك الحظير على يساره إذا مضيت إلى أحد ، عن يمينك قبل أن تبلغ قبر حمزة ، مبنى ارتفاعه إلى المحزم ، عليه لوح مكتوب من خشب : « هذا قبر سهل بن قيس بن سعد ، صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا (5) .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : انتهى ما قصدته من ذكر مكة شرفها الله ، وما سقته معها من ذكر المناسك ، ووصف مسجد النبي عم بالمدينة . والآن أشرع فيما أشترطه من ذكر البلاد بمبلغ الوسع والاجتهاد ، والله الموفق للصواب .

= معجم البلدان ، ج ١ ص ١٤٤ وقارن الاصطخرى ، ص ١٨ ؛ ابن حوقل ، ص ٢٦ ؛ ابن جبير ، ص ١٩٥ ؛ العبدرى ، المخطوط ، ص ١٠٨ – ب ؛ ابن الاثير ، ج ٢ ص ١١٣

(1) أنظر ابن النجار ، المخطوط ، ص ١٦ – ب ، ١٧ – ب .

(2) أنظر ابن جبير ، ص ١٩٥ ؛ المقدسى ، ص ٦٢ ؛ ابن النجار ، المخطوط ، ص – ب .

(3) القرآن ، سورة ٩ ، آية ١١٢

(4) القرآن ، سورة ٣٣ ، آية ٥٦

(5) أنظر ابن النجار ، المخطوط ، ص ١٥ – ب .

ذكر بلاد مصر وما فيها من العجائب(1)

بلاد مصر فى أول الإقليم الرابع ، لها من البروج الجوزاء ، ومن النجوم عطارد(2) . وهى من أسوان إلى الإسكندرية ، وخصبها وزرعها وفواكهها كثير جدا ، يسقى جميعا بالنيل (ا) . والنيل من عجائب العالم لا يعرف له منبع من تحت جبل القمر(3) ، وراء خط الاستواء بتسع درجات ونصف درجة ، يخرج من ١٢ عينا هنالك ، يجتمع فى بحيرتين هناك كالبطائح(4) ، ثم ينبعث من كل بطحة ٣ أنهار ، منها نيل مصر وغيره من الأنهار الكبار التى يأتى ذكرها إن شاء الله تعالى . وذلك فى البلاد المحترقة الجنوبية التى لا يكون فيها نبات ولا حيوان ، لقرب الشمس من ذلك الموضع(5) .

(ا) ب : يسع جميعها .

(1) هنا ينبغى ألا يغيب عن الذهن أن كتاب البكرى المعروف بالمسالك والممالك (أنظر مخطوط المكتبة الوطنية بباريز ، القسم العربى ، رقم ٢٢١٨) يعتبر المصدر الرئيسى الذى يأخذ عنه صاحب الاستبصار . والبكرى ينقل بدوره عن المسعودى وابن عبد الحكم وابن وصيف – شاه جزءا مهما من معلوماته .

(2) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ١ ص ١٨٢ ، ج ٢ ص ٣٥٦ ، التنبيه ، ص ٣١ وتابع . وتحسن الاشارة إلى أن مصر ، حسب الجغرافيين العرب ، تقع فى الاقليمين الثانى والثالث . وحسب الإدريسى (ص ١٤) تقع أسوان فى الاقليم الأول . قارن ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٣١ ، ج ٤ ص ٥٤٥ ؛ الادريسى ، ص ٤٢ ، ١٥٦ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ١ ص ١٤ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٣٨ .

(3) أنظر عبد اللطيف ، ص ٤ والترجمة ص ٢ والهامش ؛ المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٣٦١ ، التنبيه ، ص ٥٤ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ١ ص ١٨ ، ٥١ ، ٥٢ ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ٢٤٠ ، ٢٤٦ . وحسب صاحب كتاب الجغرافية (المخطوط ، ص ٦ – ا) يطلق على هذا الجبل اسم جبل القمر لأن لونه يتغير تدريجيا بالنسبة لكبر القمر التدريجى يوما بعد يوم .

(4) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ١ ص ٢٠٥ ، ولكنه بعد ذلك (ج ٢ ص ٣٥٩) يغير منهجه ويبحث عن تفسير دينى فيقول إن النيل يخرج من الجنة ، أنظر ابن رسته ، ص ٩٠ ، ٩٩ ، ١٠٠ ؛ ابن الفقيه ، ص ٦٣ ؛ كتاب الجغرافية ، المخطوط ، ص ٦ – ب ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ١ ص ٥٣ ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ٢٤٠ .

(5) قارن ابن رسته ، ص ٩٩ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ١ ص ٥٣ ،

قيل ينبعث نيل مصر فى رمال وجبال ، ثم يخترق أرض السودان مما يلى بلاد الزنج ، ثم ينبعث منه خليج يشق بلاد الزنج يصب فى بحر الزنج[1] . وتظهر(ا) فى هذا الخليج الزيادة التى تظهر فى نيل مصر ، وفيه التمساح الكائن فى نيل مصر ، ويسمى الورّل الذى يكون فى الصحراء والبرارى إنما أصله من التمساح . وذلك أن التمساح يخرج من النيل فيسرح على السواحل ، فربما قبض عنه الماء فيبقى فى البر ، فيتناسل فيكون منه الورل المشهور . والتمساح لا يوجد إلا فى نيل مصر ، أو فى نهر أصله من ماء واحد مع نيل مصر[2] .

وفى نيل مصر السمك الرعاد[3] ؛ من صاده لم تزل يده ترتعد ما دام فى شبكته أو فى صنارته . وعلى النيل جبل هامد ، يراه أهل تلك الجهة ، من انتضى سيفه ثم أولجه فيه ، وقبض على مقبضه بيديه جميعا ، اضطرب السيف فى يده

(ا) ب : تنهر .

(1) بحر الزنج هو المحيط الهندى .

(2) قارن عبد اللطيف ، ص ٧٢ ، ٧٤ ؛ الاصطخرى ، ص ٥٠ ؛ ابن حوقل ، ص ٩٨ ؛ ابن رسته ، ص ٨٠ ؛ المسعودى ، التنبيه ، ص ٥٥ ؛ الادريسى ، ص ٤٦ ، ١٤٥ ؛ كتاب الجغرافية ، المخطوط ، ص ٣٧ – ا ؛ القزوينى ، عجائب المخلوقات ، ص ١٨٧ – ١٨٨ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٨٦٦ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ١ ص ٦٧

ولما كان التمساح يوجد فى نهر مهران (الإندوس) ظن بعض الجغرافيين العرب أن هذا النهر يشترك مع النيل فى منابعه (اليعقوبى ، ص ٣٣٦ ؛ ابن الفقيه ، ص ٦١ ؛ المقدسى ، ص ٢٠٨ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ١ ص ٥٣ ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ٢٤٨) . ولكن روح النقد عند المسعودى تتضح عندما يحتج على هذا الاعتقاد الخاطىء الذى يلقى تبعته على الجاحظ إذ يقول (مروج الذهب ، ج ١ ص ٢٠٦) : «وقد ذكر الجاحظ أن نهر مهران السند من نيل مصر واستدل على ذلك بوجود التماسيح فيه فلست أدرى كيف وقع له هذا الدليل . وذكر ذلك فى كتابه المترجم بكتاب الأمصار وعجائب البلدان وهو كتاب فى نهاية الخس ، وإن كان الرجل لم يسلك البحار ولا أكثر الأسفار ... ولم يعلم أن مهران السند يخرج من أعين مشهورة من أعالى بلاد السند : من أرض قنوج من مملكة بوورة وأرض قشمير والقندهار والطاقن حتى ينتهى إلى بلاد المولتان ...» .

(3) أنظر عبد اللطيف ، ص ٤٢ والترجمة ص ٤١٦ وهامش ٥٣ ص ١٦٧ ؛ الاصطخرى ، ص ٥٠ ؛ ابن حوقل ، ص ٩٨ ؛ ابن رسته ، ص ٨٠ ؛ ابن الفقيه ، ص ٦٧ ؛ المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٣٩٢ ؛ عجائب المخلوقات ، ص ١٣٤ – ١٣٥ ؛ المقريزى الخطط ، ج ١ ص ٦٦ ، ٦٧ ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ٢٤٦

فارتعد ، ولا يقدر على إمساكه ولو كان أشد الناس . وإذا أُحِدّ بحجارة هذا الجبل سكين أو سيف لا يؤثر فيه حديد أبدا ، وجذب الإبر والمسال أشد جذبا من المغنطيس ، ولا يبطل الثوم عمله كما يبطل المغنطيس . وحجر الجبل نفسه لا يجذب الحديد ، فإن حُدّ عليه الحديد ، جذب ذلك الحديد[1] ؛ وهذا من العجائب .

ويقال إن نيل مصر يجرى على وجه الأرض ٧٠٠ فرسخ ، ويجرى فى غير عمران مسيرة ٤ أشهر ، وفى بلاد السودان مسيرة شهرين ، وفى بلاد مصر(ا) مسيرة شهر ، من أسوان إلى أن يصب فى البحر بحلق رشيد بشرق الإسكندرية[2] . وذكر هورشيش الرومى[3] فى تاريخه أن منبعه إلى موقعه ٩٩٠٨٣٠ ميلا[4] . والنيل مخالف لكل نهر من أنهار الأرض : لأن كل نهر يستقبل الجنوب ، والنيل يستقبل الشمال ، فهو مخالف لجميع أنهار الدنيا ، وعلة ذلك أن منبعه من الجنوب ، قال الشاعر :

بلاد مصر شأنها عجيب ونيلها تجرى به الجنوب[5]

قيل وليس فى الدنيا نهر يسمى بحرا وربما عبر النيل ، قال الله تعالى : «فإذا خفت

(ا) الأمصار .

(1) أنظر نفس الرواية . ابن الفقيه ، ص ٦٧ ؛ القزوينى ، عجائب المخلوقات ، ص ١٧٢ . وقارن كتاب الجغرافية ، المخطوط ، ص ٣١ – ا . وعن تأثير الثوم على المغناطيس أنظر المسعودى مروج الذهب ، ج ٢ ص ٤٠٧

(2) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٨٦٢ ؛ عجائب المخلوقات ، ص ١٨٥ ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ٢٤٤ . وحسب ابن خرداذبة (ص ٨٣) وابن الفقيه (ص ٥٩) يكون طول النيل ٤٠ ليلة . ولكن حسب الأخير طول بلاد السودان ٧ أشهر . ومن الغريب أن هذه الرواية الأخيرة اقتبسها المسعودى (مروج الذهب ، ج ١ ص ٣٦٨) دون تعليق.

(3) هو المؤرخ الرومانى Paulus Orosius (القرن الخامس الميلادى) .

(4) لا يتفق الكتاب بشأن طول النيل : المسعودى ، التنبيه ، ص ٥٧ (٧٤٨ فرسخا = ٢٢٤٥ ميلا) ، مروج الذهب ، ج ١ ص ٢٠٨ (٩٠٠ – ١٠٠٠ فرسخ تقريبا) الإدريسى ، ص ١٤٤ (٥٦٣٤ ميلا) ؛ كتاب الجغرافية ، المخطوط ، ص ٦ – ب (١٠٤٥ فرسخا) ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ٢٤٦ (٨٦١٤,٦٦ ميلا) .

(5) ينقل ويؤكد معظم الجغرافيين العرب هذه الرواية التى لا أساس لها . المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٤ ص ٢٧٣ . أنظر ابن الفقيه ، ص ٦٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٨٦٢ ؛ القزوينى ، عجائب المخلوقات ، ص ١٨٥ ؛ المقريزى الخطط ، ج ١ ص ٦٤ ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ٢٤٥ ؛ النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٣٩

عليه فألقيه فى اليم»[1]، والعرب تسميه بحرا . وليس فى الدنيا نهر يفيض على الأرض ويزرع عليه ويغنى عن المطر غير النيل . وقيل إن بلاد مصر ٣ أشهر درة بيضاء ، و٣ أشهر مسكة سوداء ، و٣ أشهر زمردة خضراء ، و٣ أشهر سبيكة حمراء . وتفسير ذلك أن النيل إذا استوى ، طما جميع أرض مصر فتبقى قراها وضياعها فى روابٍ وتلال كأنها الكواكب ، وينصرف الناس بينها فى الزوارق فتكون الأرض كدرة بيضاء . ويمكث عليها الماء ٣ أشهر ، فإذا قبض عنها الماء أخذ الحراثون فى بذر الزرع ، فتمكث الأرض سوداء إلى أن ينبت الزرع وتظهر خضرته ٣ أشهر ، فكأن الأرض مسكة سوداء . وأيضا فإنها تفوح منها رائحة طيبة عطرة . فإذا كبر الزرع وظهرت خضرته ، كانت الأرض كأنها زبرجدة خضراء . وبقيت كذلك ٣ أشهر ، إلى أن يصفر الزرع وييبس ويتناهى ، كانت الأرض عند ذلك كأنها سبيكة ذهب حمراء ، وبقيت كذلك ٣ أشهر حتى يتم الحصاد[2] .

وذكر أن مصر فى كتب الأوائل مصوَّرة وسائر البلاد مادة اليها أيديها تستطعمها[3]، ومعنى (ا) ذلك أنها أكثر بلاد الله زروعا . وذكر أن هارون الرشيد صورت له مدائن مصر ومدائن الدنيا (ا) فما استحسن منها غير عمل مدينة أسيوط ، وهى بسيط واحد لو قطرت فيه قطرة فاضت على جميع نواحيه ، يبذرفيها جميع (ب) الحبوب ، فإذا اخضر فلا يكون على الأرض بساط أعجب

(ا) الجمل الواقعة بين (ا) ، (ا) ناقصة فى ب .
(ب) « جميع » ناقصة فى ب .

(١) القرآن ، سورة ٢٠ ، آية ٣٩ . أنظر المسعودى ، ج ٢ ص ٣٦٠ ؛ عبد اللطيف ، الترجمة ، ص ٧ وهامش ١ ؛ ابن جبير ، ص ٥٧ . ويحاول المقدسى (ص ١٨) أن يعطى تفسيرا آخر فيقول إن مصب النيل ربما كان فى بحر القلزم (البحر الأحمر) وإن أم موسى ألقت بابنها فى هذا البحر ومنه دخل إلى النيل

(٢) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٣٥٧ وتابع ، التنبيه ، ص ٢٠ – ٢١ ؛ البكرى ، المخطوط ، ص ٧ ؛ كتاب الجغرافية ، المخطوط ، ص ٣١ – ب ، المقريزى ، الخطط ، ج ١ ص ٢٦ ؛ النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٣٦

(٣) البكرى ، المخطوط ، ص ١١ ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ١٢

منه[1] والجانب الغربى من هذه المدينة جبل أبيض كأنه طيلسان (ا)، ويحيط بها من الجانب الشرقى النيل كأنه جدول فضة ، قد تشبكت عليه فى الأرض الأشجار والكروم ، فلا تسمع فيه الكلام من شدة أصوات الطيور[2].

وللنيل مصر فى زيادته ونقصانه عجائب كثيرة ، عرضنا عن ذكرها لكثرة معرفة الناس بها . وليلة الغطاس بمصر من أعجب شىء ، وتسمى فى هذا الزمان كسر الخليج ، وهى لعشر تمضى من كانون الآخر (ب) وهو بلغة الروم ينير ، وذلك الوقت يستوى مد النيل ويأخذ فى الانحطاط . وأصفى ما يكون ماء النيل فى ذلك الوقت . ولهذه الليلة بمصر شأن عظيم ، وذلك أنه يخرج تلك الليلة جميع البشر ممن يقدر على الخروج تلك الليلة وقد أعدوا ما أمكنهم من الأطعمة والأشربة ، ولبسوا أحسن ما عندهم من الملابس ، وأظهروا ما أمكنهم من الجواهر وأوانى الذهب والفضة ، وأحضروا جميع الملاهى . ويدخل الناس فى الزوارق ، ومنهم من يدخل فى الدور المشرفة على النيل ، ويشعلون المشاعل (ح) والشمع الكثير . ويشعل صاحب مصر الشمع على جانب النيل (ح) ، فيحرق فى تلك الليلة بمصر من الشمع ما لا يحصى عدده ، وترى الناس على شطوط النيل فى الزوارق ، ومنهم فى الدور المشرفة على النيل بالطبول والأبواق وجميع الملاهى . وهى أحسن ليلة تكون بمصر وأكملها سرورا ، ويغطس أكثر الناس فى النيل ، ومن لم يغطس يرش عليه من الماء ، ويزعمون أن ذلك أمان من المرض[3] .

قال عمرو بن العاص : « ولاية مصر تعدل الخلافة »[4]، لأنها جعلها الله متوسطة بين الإقليم الثالث والرابع ، سلمت من حر الإقليم الأول والثانى ، ومن برد الإقليم الخامس والسادس . وقال الجاحظ : « أهل مصر أعقل الناس صغارا

(ا) القراءة فى النص « سيلطان » ولكنها « طيلسان » فى البكرى (المخطوط ، ص ١١) . (ب) ح : كانون الأول الآخر .
(ح) الجمل الواقعة بين (ح) ، (ح) ناقصة فى ح .

(١) البكرى ، المخطوط ، ص ١١ ؛ وانظر فيما بعد هامش ٣ ص ٨٤

(٢) البكرى ، المخطوط ، ص ١١

(٣) البكرى ، المخطوط ، ص ٩ ؛ المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٣٦٤–٣٦٥ (المقريزى ، الخطط ، ج ١ ص ٤٩٤) ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٨٦٦ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ١ ص ٦٠ ، ٢٦٤ – ٢٦٥

(٤) البكرى ، المخطوط ، ص ١١ ؛ النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٣٢ – ٣٣ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ١ ص ٢٧

وأحقهم كباراً (١) . وقيل إن مصر لم يجعل الله فى أرزاق أهلها ولا فى أقواتهم نصيبا مما قسم على عباده : من الرحمة بالغيث الذى جعله الله عمارة البلاد .

نبذ من أخبار ملوك مصر من لدن عمارتها

يقال والله أعلم إن أول من ملك مصر عند قسمة الأرض بين ولد آدم ، زمن أنوش ، بوصية آدم عليه السلام ، ملك يقال له نقراوش بن أضرم . وهو أول من اتخذ المصانع ، وعمل الطلسمات وأقام الأساطين ،وزبر عليها التواريخ ، وبنى المدن(ا) . وهو الذى حفر النيل وعمقه ووسعه ؛ وكان قبل ذلك ينقطع ويستنقع . وعمل للتماسيح على شاطىء النيل فى آخر بلاد النوبه مبنيين ،وزبر عليهما أحرفا منعت التماسيح أن تنحدر فى النيل . وكانت كتابتهم بالقلم الخلقطير وهو قلم آدم عليه السلام . وكان عالما كاهنا وكان له رأى من الجن ؛ ويقال وقع إليه بعض العلوم التى كان رزآبيل الملك علمها آدم عم ، فعمل بها عجائب : منها صورة طائر على اسطوانة عالية يصفر فى كل يوم مرتين ، عند طلوع الشمس ، وعند غروبها ، تصفيرا مختلفا يستدل به على ما يكون من الحوادث . وعمل فى مدينة برسان ، وهى التى بناها لابنه مصرام ، قبة ذهب على منار عال ، لا تزال على تلك القبة سحب تمنعها من الشمس . وعمل على باب المدينة أصناما موجهة إلى نواح مختلفة ، إذا قصد أرضهم قاصد بسوء أرسلت عليه نارا فأحرقته . فكان ملكه ٢٣٠ سنة . فلما مات جزع عليه قومه أشد جزع ، فقاموا يطوفون به على أعناقهم ٣٠ سنة (٢) .

(ا) القراءة فى النص « المدون » .

(١) البكرى ، المخطوط ، ص ١١ ؛ المقريزى ، ح ١ ص ٥٥

(٢) يوجد فى مخطوط البكرى خرم لا نعرف مقداره ، ولكنه يستمر من هنا إلى بناء الأهرامات (انظر هامش ٣ ص ٥٦) ورغم ذلك فإن معظم المعلومات الخاصة بمصر القديمة ، حسب ما كانت مفهومة فى ذلك العصر ، توجد فى كتاب المقريزى . أنظر الخطط ، ح ١ ص ١٢٩ – ١٣٠ (عن الملك نقراوش) ، ص ٥٢ (عن تقويم مجرى النيل) .

أما عن تسمية كتابة قدماء المصريين بالخلقطير فالكلمة يونانية . أنظر Journal Asiatique, 1913, t I p. 201 . ويسمى البعض هذه الكتابة بالخط « المسند » (ابن خرداذبه ، ص ١٥٩ ؛ ابن رسته ، ص ٨٠ ؛ المسعودى ، مروج الذهب ، ج٢ ص ٤٠١) . ولكن للأسف يعتقد =

ثم ملك بعده من بعده ابنه مصرام وكان بهيا رحلا ، وحارب أمة من الجن ، حتى أدخلهم فى طاعته بالعزائم الشداد . وبنى فى صحراء المغرب مدائن معلقة على أساطين رخام ، محيط بها شباك من ذهب ، وجعل فيها خزائن الحكمة . وجعل لها أبوابا تحت الأرض لا يدخل إليها إلا منها ، وجعل لها أقفالا ومفاتيح مدورات . وكانت ٣ مدن فى كل مدينة ٣ خزائن ، فيها عجائب العلم وطرائف الحكمة ورموز الصنعة ، وأجرام من الماء المعقود لا ينحلل ، ومن الهواء المجمد لا يضمحل . وفيها مطهرة من ماء الحياة الإلهى الصنع . وفيها صورة الكواكب فى بيوت شرفها ، وعلى رؤوسها أكاليل العلبة ، وبإزائها صور الحكماء المقيمين لأمورها بأيديهم مصاحف (ا)الصنعة ، وجميع الطلسمات والعلوم ، ومن دروب الأحجار الرفيعة والجواهر النفيسة والأجرام العجيبة : من الدر الخطير ، وسبائك الذهب والفضة ، والحجارة الرفيعة ، والعقاقير المكنونة والأدوية المؤلفة . وصور هذه الخزائن فى كل بربى من برابى مصر ، قد زبروا عليها خطوطهم ، وخبرها مشهور فى جميع مصاحفهم القديمة وهياكلهم المرسومة .

وبنى هذا الملك بمدينة بالقرب من هذه المدن الثلاث على هيئة الجنة بزعمه ، وجعل لها أسرابا تحت الأرض ، يوصل منها إلى هذه المدائن الثلاث ، وتوصل من بعضها إلى بعض (١) .

أخبرنى رجل دخل (ب) بلادا كثيرة ، أن الغاوى الذى بجبل ألَـمُوت إمام الحشيشية ، يرى اغتيال الملوك عند مدينة تحت الأرض على هذه الصورة . يدخل فيها المستجيب له ، فإذا عاين ما أعد له فيها ، يقال له : هذا لك إذا قتلت فلانا فى الموضع الفلانى . ويكون إدخاله فى تلك المدينة وهو قد سُقِىَ المُرَقِّد ، فينتبه فيها . فإذا أريد إخراجه ، سقى المرقد أيضا ، ويخرج فينتبه فى منزله ، ويتذكر ما رأى ؛

(ا) ح : مصابيح . (ب) « دخل » ناقصة فى ب .

= الاصطخرى (ص١٥) أن هذه الكتابة هى اليونانية . ولكن السيوطى (حسن المحاضرة ، ح ١ ص٤٣) ذهب بخياله إلى أبعد من ذلك . فلكى يقطع الاختلاف ، وربما لكى يرضى الجميع فى نفس الوقت ، قال إن هذه الكتابة تشمل سبع كتابات معا هى : اليونانية والعبرية واللاتينية والفارسية والحميرية وخط أهل السند .

(١) أنظر المقريزى ، الخطط ، ج ١ ص ١٣٠ ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ١٨

فيقصه على من أمامه . فيقول له : إنك رأيت هذا فى منامك وهو بشرى لك ، فلا تتثنى عما أمرت به ويبشره بالمثوبة عليه ، ويرفع له خنجرا مسموما معدا عنده من حينه (١) .

قال المؤلف فلما هلك الملك نقراوش المتقدم الذكر ، ملك بعده ابنه سورت . وكان موحدا مؤمنا . فغلق هياكل الكواكب فقل النيل فى أيامه ، فرفضه بنو أبيه وخلعوه وملكوا أخاه الأصغر مصرام المتقدم الذكر . وكان جبارا فزاد فى هياكل الكواكب ، واحتفل فى شكرها وبر سدنتها وزاد فى دخلها وقرابينها . وكان له رئى فأمره أن يحتجب عن الناس ، وألقى على وجهه نورا حتى لم يتمكن أحد من النظر إليه ، ودلل له الأسد فركبها ، وادعى الإلهية ودعا الناس إلى عبادته . وغاب عن الناس نحو ٣٠ سنة . وركب فى عيبته أنواعا من الدواب العظام من الوحوش والسباع لها منظر مهول . ومضى به ذلك البرنى حتى أوقفه على البحر الأسود ، فبنى فى وسطه صنما من حجر أسود أبيض ، وزبر عليه اسمه وجعله قربانا للشمس ، وعمل قلعة الفضة التى فى البحر الأسود وخبرها مشهور .

ذكر ذلك الموس الكاهن فى سير الملوك القدماء . وزبر على ذلك الصنم : « أنا مصرام الجبار جامع الأخبار وكاشف الأسرار والعالم القهار : وأظهرت الحكمة العجيبة وكشفت الأمور الغريبة ، ونصبت الأعلام الماثلة على البحار السائلة ليعلم من بعدى أنه لا ملك مثل ملكى » . وقيل إنه ركب فى مدينة برمان شجرة تؤكل منها كل فاكهة ، وعمل عجائب وغرائب يطول وصفها (٢) .

فلما هلك مصرام ملك بعده من بنيه عدة ملوك ، كل واحد منهم يعمل فى وقته عجائب وغرائب فى البناء ، وغير ذلك من الطلسمات والصور والأصنام المركبة من الجواهر الغالية ؛ إلى أن ملك من بنيه شوندين بن سلمون صاحب الأهرام . وكان ملكا عاقلا عالما محبا للعلماء ، وكان أوتى من العلم والحكمة ما لم يسبقه إلى ذلك ملك ولا غيره ، وكان يتعهد من مصالح الرعية ما لم يتعهده سواه من الملوك ، وكان ينفق على الزمناء والضعفاء من ماله . واتخذ مرآة من أخلاط

(١) المقصود هنا بالحشيشية طوائف الإسماعيلية المعروفين أيضا بالحشاشين الذين كانوا على عهد الصليبيين يحتلون عددا من القلاع وخاصة بالشام ، والذين اشتهروا باغتيال خصومهم . والإسم مأخوذ من الحشيش الذى كانوا يستعملونه للوصول إلى حالة الذهول أو الانجذاب . أنظر دائرة المعارف الاسلامية .

(٢) أنظر ابن وصيف شاه (العجائب) ، الترجمة ، ص ١٨١ ؛ قارن المقريزى ، الخطط ، ج ١ ص ١٣٠ ، ١٧١ ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ١٦ .

وأقاليها [illegible] وغير ذلك ، [illegible] الأمم والأقاليم وغير ذلك ، [illegible] بأمرهم بالنظر [illegible] فى العالم . [illegible] فجمع إليه العلماء والحكمة [illegible] أقطار الأرض . [illegible] له ما أراده وتم له ذلك وعملت له [illegible] والطلسمات وغير ذلك ، وفى أيامه بنيت الأهرام التى [illegible] مصر . [illegible] إنه ليس على وجه الأرض حجر [illegible] على حجر أغرب [illegible] أهرام مصر .

[illegible] هذه الأهرام أن الملك شوندين رأى رؤيا هائلة ، [illegible] أنه رأى الكوكب المعروف بالثانية (١) فى صورة طير أبيض [illegible] العالم [illegible] بين جبلين ، وكأن الجبلين انطبقا عليهم ، وأن الكواكب المنيرة مظلمة كاسفة كلها . وأخبر بذلك رؤساء الكهان والعلماء وأمرهم أن ينظروا ما تدل عليه الكواكب مما يحدث فى العالم ، فأقاموا الكواكب فى مراكزها فى وقت مسألته فدلت على آفة نازلة من السماء وخارجة من الأرض . فلما بان لهم ذلك أخبروه به . فقال ما هو ذلك فنظروا فى خفى أمورها ودقائق علمها . فوجدوها مفسدة للأرض وأهلها وحيوانها وجميع ما فيها . وقالوا إن هذه الآفة محيطة بجميع أقطار الأرض إلا اليسير . وذلك إذا نزل قلب الأسد بأول دقيقة من السرطان . وتكون الشمس والقمر فى أول دقيقة من الحمل . فلما تيقن الملك شوندين من ذلك . وعلم أن تلك الآفة تكون ماء يغرق الأرض ومن عليها ، أمر ببناء الأهرام (١) — وهى البرابى لتخليد علومهم وصناعاتهم وسير ملوكهم وسننهم فى رعيتهم وأهل ممالكهم — وبنيان أعلام عظام تكون خزائن لأموالهم وكنوزهم وذخائرهم ، وتكون أيضا قبورا لهم ولأهل بيتهم ، تحفظ أجسادهم من الفساد وتبقى علمهم صحيحا (٢) . وأمر بأن يبنى ذلك كله من حجر صلد لا يغيره الدهر ولا يفسده الطوفان .

(١) هذه المقتطفات منقوله عن ابن وصيف — شاه . أنظر العجائب ، الترجمة ، ص ٢٠٠ وتابع . وينسب المسعودى بناء الأهرام حينا إلى يوسف (مروج الذهب ، ج ٢ ص ٣٦٥) وحينا إلى المصريين القدماء (نفس المصدر ، ص ٤٠٢) . أما ابن خردادبه (ص ١٥٩) فينسبها إلى بطليموس [illegible] هذا وينسبها آخرون إلى بانى الإسكندرية وبانيها وهو الإسكندر أو شداد ابن عاد الأسطورى (ابن عبد الحكم ، ص ٣٤ ؛ المسعودى ، التنبيه ، ص ٢٠) . أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٩٦٣ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ١ ص ١١١ وتابع ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ١٩ ؛ النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٤٠ .

(٢) عن معنى كلمة «برقى» أنظر عبداللطيف ، الترجمة ، ص١٨٢ وهامش٤٨ (ص٢٢٩) . وفيها يختص بالاهرامات ، حسب الاصطخرى (ص ٥٢) ، فكانت مقابر الملوك . =

ويقال إنه أمر أن تبنى هذه الأهرام والبرابى من حجارة ومن طين فإذا كان الحادث ماء ذهبت التى من طين (ا) وبقيت التى هى من حجارة ، وإن كانت نارا ذهبت التى هى من حجارة وبقيت التى هى من طين(ب) . فكان ذلك الحادث ماء فذهبت الطين وبقيت الحجارة . ثم أمر الملك وزراءه فمشوا مع المنجمين والكهان فاختاروا موضعا لبناء تلك الأعلام ، وهى الأهرام والبرابى ، فاختاروا موضعا بقرب النيل فى الجانب الغربى فبنيت فيه مدينة مرقة ، معناه بلسانهم «مطلب الحكمة» . ثم أمر الملك بجمع الناس والفعلة فجمع ٧٠٠٠ لقطع الحجارة ونحتها ، ومثلهم لهندستها ، وأضعافهم للبناء . وعمل قضبان الحديد واستخرج الرصاص ، فكانوا يصبون البلاطة ويجعلون فى وسطها عامود حديد قد نفذها ، والعامود قائم قد ضبط بالرصاص المسبوك ، وتركب عليها بلاطة أخرى فى قدرها وهندستها ، مثقوبة بقدر دخول القضيب فيها ، ثم يسكب الرصاص حول العامود وعلى البلاطتين معا ، حتى أتى بنيانا ما بُني فى العالم قط مثله [1] . وطول حائط الهرم ١٥٠ ذراعا بأذرعهم ، وفى عرضه مثل ذلك وارتفاعه فى الفضاء ٤٠٠ ذراع [2] . ويقال إن عمقها تحت الأرض مثل ارتفاعها فوق الأرض ؛ وعرض الحائط من حيطانها ٢٠ ذراعا بأذرعهم .

(ا) الجمل الواقعة بين (ا) ، (ب) ناقصة فى ح .

= أما حسب ابن حوقل (ص ١٠١) فإنها كانت مقابر ومخازن لجمع الطعام . ويرى المقدسى (ص ٢١٠) أنها طلسمات وأهرام بناها يوسف أو أنها مقابر .

(١) إن استعمال الرصاص فى بناء الأهرام لا أساس له من الحقيقة إلا فى خيال الكتاب . وليس من الضرورى أن يكون الإنسان عالما بالآثار لكى يقرر أن الأمر ليس كذلك ، فالنظرة العابرة تدل على عدم استعمال أى معدن فى بناء هذه الآثار .

(٢) يتفق معظم الكتاب ، على عكس صاحب الاستبصار ، بالنسبة لمقاييس الأهرامات فهى حسب رواياتهم عبارة عن ٤٠٠ ذراع فى كل ناحية . عبد اللطيف ، ص ٩٤ والترجمة ، ص ١٧٤ (ولكنه فى مكان آخر – ص ٩٤ والترجمة ، ص ١٧٥ – يقول إنه رأى «بعض أرباب القياس قال عمودها ٣٠٠ ذراع ونحو ١٧ ذراعا يحيط به أربعة سطوح مثلثات طول كل ضلع منها ٤٦٠ ذراعا») ؛ الاصطخرى ، ص٥١ ؛ ابن رسته ، ص٨٠ ؛ المسعودى ، التنبيه ، ص ١٩ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ١ ص ١١٤ ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٤٢ (٥٠٠ ذراع) .

فلما تم بنيان هذه الأهرام والبرابى ، أمر الملك أن يكتب على حيطان البرابى وسقوفها جميع الأشياء وغوامض الأمور : من دلائل النجوم وعللها وسائر الطوالع والطبائع ومكنونها ، والنواميس العظام وعمل الأدوية وتأليفها ، ومعرفة العقاقير وأسمائها وصورها ، وعلم صنعة الكيمياء وغير ذلك مما ينفع ويضر . كل ذلك ملخص مفسر لمن عرف كتابتهم وفهمها . ونقش فى حيطانها وسقوفها جميع الطلسمات وكتب على كل طلسم خاصيته ونفعه وضرره ، وكما وضع فى تلك الأهرام فنونا من الذهب والفضة والكيمياء وحجارة الزبرجد الرفيعة والجواهر النفيسة مالا يحصّله وصف واصف . وكذلك فعل بنوه من بعده .

فلما تمت هذه الأهرام والبرابى على ما أراد الملك قال لهم أنظروا هل تفسد هذه الأعلام ، فنظروا فوجدوها باقية لا تزول . فقال لهم هل يفتح منها موضع ، أو هل يدخل إليها ، فنظروا فقالوا له يفتح فى الهرم الفلانى فى الجانب الشمالى منه ، فقال لهم حققوا النظر فى معرفة الموضع بعينه ، فنظروا وعرفوه بالموضع . فقال لهم عرفونى متى يكون ذلك ، فنظروا فعرفوه أنه يكون ذلك لمدة ٤٠٠٠ دورة للشمس والدورة سنة . فقال لهم أنظروا مقدار ما ينفق فى فتح هذا الموضع ، فنظروا فعرفوه بالقدر ، فقال لهم اجعلوا فى الموضع الذى يوصل منه إلى داخل الهرم ذهبا بمقدار ما ينفق على فتحه . ثم حثهم على الفراغ من بناء الأهرام والبرابى ، ففرغوا منها فى ٦٠ سنة . وأمر أن يكتب عليها : «بنينا هذه الأهرام فى ٦٠ سنة فليهدمها من يهدمها فى ٦٠٠ سنة ، على أنّ الهدم أهون من البناء» [1] . ثم قال لهم أنظروا هل يكون بعد هذه الآفة كون مضر غيرها ، فنظروا فإذا الكواكب تدل فى وقتهم وتظهرهم على آفة أخرى نازلة من السماء ، وتكون فى آخر الزمان وهى ضد الأولى ، وهى نار محرقة لأقطار العالم ، فأخبروه بذلك . فقال لهم فهل من خبر آخر توقفونا عليه بعد هذه الأمور ، فقالوا له ننظر فى ذلك ؛ فنظروا على آلاف السنين ، وقالوا له إذا قطع قلب الأسد ثلثى دورة ، وهى آخر دقيقة من برج العقرب ، لم يبق من حيوان الأرض متحرك إلا تلف ، فإذا استتم دورة تحللت عقد الفلك . فقال لهم فى أى يوم تتحلل عقد الفلك ، فقالوا له اليوم الثانى من وجود الفلك . قال فتعجب الملك من ذلك ، وأمر بكل ما قاله العلماء من هذه الحكم أن تخلّد فى الكتب ، وتستودع فى تلك الأهرام ؛ فيقال إن فيها علم الأولين والآخرين .

---

(١) قارن ابن حوقل ، ص ٨٨ ؛ ابن رسته ، ص ٨٠ ؛ ابن الفقيه ، ص ٦٨ ؛ المقدسى ، ص ٢١٠ ؛ المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٤٠٥ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ١ ص ١١٣ ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٤٢

نرجع الآن إلى حديث الثلمة : قيل فلما كان فى زمان المأمون بن هارون الرشيد ، وفرغ من حرب النبهاء وأقام بمصر (١) ، أراد هدم الأهرام ، فعرفه بعض شيوخ المصريين أن ذلك غير متمكن ، وقال له ولا يحسن بأمير المؤمنين أن يطلب شيئا ولا يبلغه (٢) ؛ فقال له لابد أن أعلم ما فيها . ثم أمر بفتح هرم من أعظم الأهرام ، ففتح فيه ثلم من جانبه الشمالى ، لقلة دوام الشمس على من يعمل فيه ؛ فلما ابتدؤا عمله وجدوا حجرا صلدا يكل فيه الحديد . فكانوا يوقدون النار عند الحجر ، فإذا حمى رش بالخل ورمى بالمنجنيق فزبر الحديد ؛ وأقاموا على ذلك أياما حتى فتحوا الثلمة التى فيه الآن ، فمنها يدخل إلى ذلك الهرم . ووجدوا بنيانه بالحديد والرصاص (٣) ووجدوا عرض الحائط ٢٠ ذراعا ؛ وبالقرب من الموضع الذى فتحوا مطهرة من حجر أخضر فيها مال على حول الدنانير العريضة ، وزن كل دينار منها ٢٧ مثقالا وثلثى مثقال . فقال المأمون زنوه فوزنوا الجملة فوجدوا فيها مالا معلوما ، وكان المأمون رحمه الله فطنا ، فقال رحمه الله ارفعوا ما أنفقتم على فتح هذه الثلمة ، ففعلوا فوجدوه موازنا لما وجدوا من المال . فعجب أمير المؤمنين من ذلك ، ومن معرفتهم بالموضع الذى يفتح منه ذلك الهرم على طول الزمان ، وازداد فى علم النجوم يقينا . قال فمشى المأمون حتى دخل الهرم ، ومشى فيه فوجد صنما أخضرا مادا يده وهو قائم فلم يعلم خبره . ونظر إلى الزلاقة والبئر الذى فى الهرم ، وأمر بالدخول والنزول فيه . قال فنزل فيه قوم من رجاله من درجة إلى درجة حتى أفضوا إلى صنم أحمر ، عيناه مجزعتان سواد فى بياض كأنهما حدقتا إنسان ينظر إليهم ، فهالهم أمره وقدروا أن له حركة ، فجزعوا منه فخرجوا وعرفوا أمير المؤمنين الحال . قال فجرأه ذلك على طلب محابىء كثيرة . ويقال إنه وجد فيه مالا كثيرا .

(١) أنظر ابن وصيف - شاه ، الترجمة ، ص ٢١٠ . كان حضور المأمون من الشام إلى مصر سنة ٢١٩ هـ = ٨٣١ م عقب قيام ثورة محلية . ابن الأثير ، ج ٦ ص ٢٩٦ ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ١٩٦

(٢) من الغريب أن هدم هذه الآثار الشهيرة كان محالا لتفكير ملوك مصر الذين غلبت عليهم فكرة وجود كنوز مدفونة فيها . وحسب عبد اللطيف (ص ٩٦) حاول عثمان بن صلاح الدين سنة ٥٩٣ هـ = ١١٩٦ هدم واحد من الأهرامات الصغيرة ، ليستعمل حجارته فى بعض مشاريعه العمرانية ، ولكنه اضطر إلى العدول عن هذه المحاولة الصعبة (المقريزى ، الخطط ، ج ١ ص ١١٥)

(٣) هنا ينتهى الخرم الأول الموجود فى مخطوط البكرى (أنظر هامش ٢ ص ٥٠)

قيل فسأل المأمون ممن وجد بمصر من العلماء بتاريخ العالم : هل لهذه الأهرام أبواب يدخل إليها منها ؟ فقيل له إن لها أبوابا تحت الأرض ، فى آزاج مبنية بالحجارة ، طول كل زج منها ٢٠ ذراعا ، له باب من حجر واحد يدور بكوكب ، إذا أطبق لم يعرف أنه باب ، وصار كالبنيان لا يدخل الذر فى خصاصته ، ولا يوصل إليه إلا بكلام وقرابين وبخورات معروفة . وإن فى هذه الأهرام قبورا من الذهب والفضة والكيمياء وحجارة الزبرجد الرفيعة النفيسة ما لا يسعه وصف واصف . وفيها من الكتب المستودعة فيها طرائف الحكمة وكمال الصنعة . ومن التماثيل الهائلة من الذهب الملون على رؤسها التيجان الفاخرة مكللة بالجواهر النفيسة ، ما يستدل به على عظيم ملكهم ؛ وجعلوا على ذلك من الطلسمات ما يمنع منه ، ويدفع عنه إلى أوقات معلومة وأمد لابد منه . وإنما قصدوا بذلك أن تكون تلك الأشياء ذخيرة لأعقابهم ، ولمن يكون من بعدهم ، علما على عظيم ملكهم . قال ووضعوا أساس تلك الأعلام فى وقت السعادة ، وجعلوا فى أساس كل علم منها صنما ، وزبروا فى صدورها دفع المضار والآفات عنها . وفى كل صنم منها آلة كالبوق ، وهو واضعه على فيه . وفى وسط كل هرم منها شرفات موجهة إلى آزاج ضيقة المنافذ واسعة المداخل . تجتذب الرياح إليها على طول الزمان ، وتخرج من وجه الداخل إليها ، ولها صفير فمن لم يحس دفعها أهلكته . قال فعجب المأمون من ذلك ولم يتعرض إلى شىء من تلك الأعلام .

وقيل إنه عمل تحت تلك الأهرام أسرابا تخرج إلى نواح مختلفة : منها ما يخرج إلى الفيوم وهى على نحو يوم ونصف من مصر ، وإلى ناحية المغرب على مسيرة يومين وأزيد ، وفى أسفلها مسارب للماء تفضى إلى النيل . قيل ووكل بكل هرم من تلك الأهرام روحانيين ، فجعل فى الهرم الغربى روحانى فى صورة امرأة عريانة مكشوفة الفرج لها ذؤابتان حسنة الخلق . وإذا أرادت تستفز الإنسان ضحكت إليه ، واستجرته إلى نفسها ، فإن تبعها أهلكته . ذكر ذلك من رآها مرارا . ووكل بالهرم القبلى روحانى فى صورة غلام أمرد عريان حسن الخلق يفعل كذلك . وقد رؤى من خارج مرة بعد مرة ثم يغيب فى الهرم . وفى الهرم الملون صورة شيخ عليه ثياب الرهبان ، وبيده مجمرة كأنه يتبخر . وكذلك وكل بجميع البرابى (١) . وببلد إخميم يشاهد أهله أن روحانى

(١) قارن ابن وصيف - شاه ، الترجمة ، ص ٢١٧ . وانظر البكرى ، المخطوط ، ق ١٢ - ١٣ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ١ ص (معلوماته مأخوذة عن كتاب المسعودى المفقود والمعروف باسم أخبار الزمان) ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٤٣ ، السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٤٧

البربىَ الذى بها (١) فى صورة غلام أسود بيده عصا ، فلا يقدر أحد أن يدخل (ا) البربى من بعد العصر إلى الصبح . وكذلك برْبى مدينة سمنود (٢) فيه روحانى فى صورة رجل طويل ، أدم اللون صغير اللحية أشيب . وأما برْبىَ قفْط ، فجارية سوداء معها صبى صغير أسود تحمله (٣) . ولكل برْبى من البرابى (ب) قربان وكلام يطبع به ذلك الروحانى ، ويدل على علوم البربى (ب) وكنوزه . ويقال إن ذا النون الإخميمى (٤) إنما قدر على ما قدر عليه من علوم البربى حتى عمل الصنعة الكبيرة ، وهى الكيمياء والجوهر ، وحمل من مصر إلى بغداد فى ليلة واحدة ، وغير ذلك مما كان عنده من الغرائب وخبره مشهور . فيقال إنه خدم راهبا كان بإخميم يقال له سامس مدة صباه ، فعلمه قراءة الخط الذى فى البربى ، وعلمه القربان والبخور واسم الروحانى ؛ وأوصاه أن يكتم ذلك. فلما علم ذو النون ما علم من علم الكيمياء وغيرها ، عمد إلى طين الحكمة ، فطمس به صنعة الكيمياء حتى لا يبلغ إليها أحد غيره ؛ وهذا الطين لا ينقطع أبدا . وهذا القلم هو المسطر فى كتاب السياسة الأوسط وهو كتاب مشهور :

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م



(ا) ح · يقرب . (ب) الجمل الواقعة بين (س) ، (ب) ناقصة فى ب .

(١) عن برى إخميم أنظر فيما بعد ص ٨٤ وهامش ٢

(٢) البكرى ، المخطوط ، ص ١٣ ؛ المسعودى ، مروج الذهب ، ح ٢ ص ٤٠٤ ؛ ابن دقماق ، ص ٩١ ؛ المقريزى ، الخطط ، ح ١ ص ٣١

(٣) البكرى ، المخطوط ، ص ١٤

(٤) أبو الفيض ثوبان بن ابراهيم المعروف باسم « ذو النون المصرى » المتوفى سنة ٢٤٥ هـ = ٨٥٩ ، أصله من مدينة إخميم وكان ذو النون زاهدا عرف باشتغاله بالآثار المصرية القديمة وخاصة برابى مدينته إخميم . وكانت هذه المهمة خطرة وخاصة فى أعين أهل ذلك العصر ، وفعلا لم تلبث المتاعب أن تلحق به بسببها . إذ اتهم الرجل الورع بالزندقة ، واستدعى إلى بغداد لكى يفسر مسلكه أمام الخليفة المتوكل نفسه . أنظر السيوطى ، حسن المحاضرة ، ح ١ ، ص ٢٩٣ ؛ البكرى ، المخطوط ، ص ١٤ ؛ المسعودى ، مروج الذهب ، ح ٢ ص ٤٠١ ؛ المقدسى ، ص ٢٠٠ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ح ١ ص ١٦٥ ؛ ابن دقماق ، ص ٢٥ ؛ المقريزى ، الخطط ، ح ١ ص ٣١ ، ٣٩ ؛ Brockelmann, G A L., II, 82, L. Massignon, Passion d'al-Hallāj, t I, p. 192

ن ص ض ع غ ف ق [illegible] ه و لا ى (١)



وبها من الكيمياء . وفى بعض أخبار مصر أن قوما قصدوا الأهرام ، فنزلوا فى تلك الآبار ، وطلبوا أن يدخلوا فى تلك المضايق التى تخرج منها الرياح ، واحتملوا معهم سرجا فى أوان رخام . فلما حصلوا فى تلك المضايق ، خرجت عليهم ريح شديدة وأخرجتهم منها عنفا ، وأطفأت أكبر سرجهم . فأخذوا أحدهم وكان أقواهم جأشا وأشدهم عزما وأصلبهم قلبا ؛ فربطوا وسطه بالحبال ، وقالوا ادخل فإن رأيت شيئا تكرهه جذبناك ، فلما دخل المغرور وزاحم تلك الرياح ، انطبق عليه ذلك الفتح ، فجذبوه فانقطعت حبالهم ، وبقى الرجل فى ذلك الشق وهم لا يعلمون له خبرا ؛ فصعدوا هاربين حتى خرجوا من البئر ، واهتموا لما أصاب صاحبهم . فجلسوا عند الظلمة مفكرين فى أمر صاحبهم ، وفى أمرهم وما أقاموا عليه ، فبينما هم كذلك إذ انفجرت من الأرض فرجة كالكوة ، وأثارت لهم ذلك الرجل عريانا مشوه الخلق ميت الدم جامد العينين ، وهو يتكلم بكلام عجيب لا يفهم ، فلما فرغ من كلامه سقط ميتا . فازداد وجلهم وتضاعف حزنهم وجزعهم ، وعلموا أنهم خالصون من أمر عظيم (٢) . قال فاحتملوا صاحبهم ، واتصلت أنباؤهم بوالى مصر وهو ابن المدبر فى أيام المتوكل (٣) ، فسألهم عن أمرهم ؛ وأخبروه بذلك فعجب . وأمر أن يكتب الكلام الذى قال ذلك الرجل الذى مات ، حسب ما قاله ، وأقام ابن المدبر يطلب من يفسره إلى أن وجد رجلا يعرف شيئا من ذلك اللسان ، ففسره : « هذا جزاء من طلب ما ليس له وأراد الكشف على ما يخفى ، فليعتبر من رآه » . قال فمنع حينئذ ابن المدبر أن يتعرض أحد للأهرام .

(١) لا نستطيع التعليق على مصدر هذا الخط ولا عن طبيعة العلاقة بين هذه الحروف وبين النقوش المصرية القديمة أو الحروف اليونانية أو القبطية وإن كان هناك تشابه بين بعضها . والأمر متروك للاخصائيين .

(٢) أنظر ابن وصيف - شاه ، الترجمة ، ص ٢١٣ . وقارن [illegible] ، المخطوط ، ص ١٤ ؛ المقريزى ، الخطط ، ح ١ ص ١٣ - ١٤

(٣) احمد بن المدبر كان صاحب خراج مصر حوالى سنة ٢٤٢ = ٨٥٦ م . وبعد ما وصل احمد بن طولون إلى مصر سنة ٢٥٤ = ٨٦٨ قام بين الرجلين الطموحين صراع مر ، انتهى بانتصار احمد بن طولون انتصارا حاسما فاختفى ابن المدبر دون أن نعرف تاريخ وفاته [illegible] أنظر Zaky Hassan, Les Tulunides, p 35 sq., 71 sq

وفى خبر آخر أن جماعة دخلوا الأهرام فوجدوا فى بعض البيوت زلاقة إلى بئر، فنزلوا فيها فوجدوا سربا، فساروا فيه نصف يوم حتى انتهوا إلى حفير عميق وفى عدوته باب لطيف. وكانوا يتبينون منه شعاع الذهب والفضة والجواهر النفيسة. ومن رأس الحفير مما يليهم إلى ذلك الباب المحاذى لهم، الذى فيه الذهب والجوهر، عامود حديد قد ألبس محورا من حديد يدور عليه ولا يستمسك فى دورانه. فاحتالوا فى وقوفه وذهاب حركته فلم يقدروا على ذلك، فربطوا أحدهم فى حبل، وتعلق بالعامود ليصل إلى الجانب الآخر، فدار به المحور (ا) فتحير وسقط وانقطع الحبل الذى كان فيه، فخرجوا هاربين لايلوون على شئ.

وفى خبر آخر أن قوما دخلوا بعض الأسراب التى فى الهرم، فانتهوا إلى صنم أخضر على صورة شيخ، وبين يديه أصنام صغار كأنه يعلمهم. ثم ساروا فوجدوا فوارة تحت قبة يقع فيها ماء من أعلى تلك القبة، فيكون له نشيش شديد كأنه يطفئ نارا، ثم يغيض هناك ولا يتبين. ثم داروا فوجدوا بيتا مسدودا لا يظهر له باب غير حجر صلد، وفيه دوى شديد لا يدرى ما هو؛ ووجدوا عنده شبه المطهرة الكبيرة فيها ماء ودنانير، منقوش فى الوجه الواحد صورة أسد وفى الوجه الثانى صورة طير، فأخذوا من تلك الدنانير شيئا، فلم يقدروا على حركة ولا كلام حتى تركوها فى موضعها.

وأما البرابى ففيها من الطلسمات والكتابة، وعمل الصناعات وتصوير جميع الآلات وتعليم جميع الصناعات، كل ذلك منقوش فى الحجر الصلد، وإن الناس يمشون إليها فيأخذون فوائد كثيرة (1). قال الوصيفى (2): رأيت فى بربى إخميم صورة عقرب فألصقت عليها شمعا فلم أتركها فى موضع إلا أن انحاشت العقارب إليها من كل موضع، وإن كانت فى تابوت اجتمعت

(ا) «المحور» ناقصة فى ب.

(1) أنظر البكرى، المخطوط، ص ١٥

(2) أننا لا نعرف شيئا دقيقا عن هذا المؤلف. وكل ما يذكره المقريزى الذى يأخذ عنه كثيرا من معلوماته هو أنه يسميه الأستاذ ابراهيم بن وصيف-شاه (الخطط، ج ١ ص ١١١، ١٣٥). أما عن مصنفه عن العجائب فلقد ترجمه Carra de Vaux ترجمة جزئية (L'Abrégé des Merveilles. Paris, 1908). وحسب ما حققه Seybold كان ابن وصيف شاه يكتب حوالى سنة ١٠٠٠ ميلادية (أنظر Orientalische Litteratur Zeitung. Mai 1908, p. 146).

حول التابوت وتحته. فطليها مع بعض إخوانى فرجعت إلى إخميم فوجدت تلك الصورة قد نقرت وأفسدت. وفى هذا البربى، عند الباب الذى يدخل منه إلى المصعد على يسار الداخل، صورة رأس إنسان عظيم اللحية كثير الشعر كأنه رأس روحى بغير جسد. فذكر أن الأولين كانوا يبخرون ذلك الرأس، ببخور لهم معروف عندهم، فكل من بخره وجد عنده دينارا؛ فكان فى ذلك معونة لأهل المسألة. قال الوصيفى: تصفحت الموضع الذى بقرب ذلك الرأس، فوجدت أثر البخور والطيب بينا فيه. وذكر أن على باب إخميم طلسم، وهو قطعة من الحجر فى صورة القلنسوة، معقبة الرأس كأنه منقار طائر، يقال إن تحته مال عظيم، وقد جهد جماعة من الولاة على إخميم فى قلعها أو كسرها فلم يقدروا على ذلك، وتتكسر المعاول كلها ولا يتثلم منها شئ. وأخبرنى رجل بأنه رأى هنالك صورة استحسنها، وهى صورة إنسان على رأسه طائر وإلى جنبه كلب رابض وتحت رجليه كتابة، قال فأخذتها وصورتها فى قرطاس كما رأيتها فأقمت ثلاثة أيام فلم أهجع ولم آكل ولم أشته شيئا من الطعام ولم أدر ما السبب لذلك حتى فكرت فى الصورة التى عندى فنزعتها عنى فاشتهيت الطعام وأكلت ونمت (1). وحدث رجل من أهل إخميم أن رجلا من أهل المشرق نزل عندهم وكان بصيرا بهذه العلوم فتذاكروا معه أمر البربى فقال ذلك المشرقى لبعضهم إن وجدت فيه صورة إنسان عريان مؤتزر بمئزر وفى يده اليمنى فأس له رأسان وفيه ورقة معلقة فانسخه لى وما حوله من الكتابة. قال ففعلت ذلك وأتيت بها إليه وسألته عن خاصيتها، فأطعمنى (ا) فيها وقال ليس ينتفع عندها أو تفسد البربى. قال فمشيت إليها فخدشتها بمسمار حتى أفسدتها وطمستها ثم سألته عن علمها فخلط على ولم يعطنى فائدة. فلما كان بعد ذلك تحدثت به مع قوم أهل المشرق فتلهف أحدهم فسألته عن أمرها فقال إن تلك الصورة إذا جعلت فى موقع فيه كنز ارتفع من الموضع غبار فيعلم أن فيه خبرا وهى دلالة على الكنوز فغمنى أن كنت أفسدتها. وكذلك يتحدث أهل سمنود عن البربى الذى عندهم (2) بعجائب كثيرة منها أن بعض من دخله كتب على كفه صورة من تلك الصور أعجبته، فأطبقت عينه الواحدة حتى أتاه من كتب على كفه الصورة المحاذية لها فانفتحت عينه.

(ا) ح: فأطمعنى.

(1) هنا يوجد خرم فى مخطوط البكرى لا نعرف مداه. قارن المقريزى، الخطط، ج ١ صفحة ٢٤٠

(2) عن بربى سمنود أنظر فيما سبق ص ٥٨ وهامش ٢

قال الوصيف : وأخبرنى من أثقه أنه رأى ببربى سمنود صورة شيطانين يحوط بهما سلسلة بكتابة ، وهما يمسكان طرفى السلسلة وبينهما كتابة ، قال : فصورت ذلك كما هو ، وأمسكته عندى إلى أن جاءنى من عرفها ، فقال لى : هذا حرز عظيم من جميع السباع ، ومن كل من يروم الإذاية ، ولو جعل على هذا الطلسم لحم ، وجوع كلب أو سبع وقرب منه لم يقدر على (ا) أخذ شىء منه بوجه ولا بحال ، قال فعجبت من قوله فامتحنت الطلسم فوجدته كما قال . ومن المتعارف عند أهل إخميم ، أنه كان فى البربى الذى كان عندهم ، صورة شيطان قائم على رجل واحدة وله يد واحدة قد رفعها إلى الهواء ، وفى جبهته وحواليه كتابة ، وله إحليل ظاهر ملتصق بالحائط . فقيل من احتال لذلك الإحليل حتى ينقب عليه ، وينزعه من غير أن ينكسر ، ويعلقه فى وسطه لم يزل منعظا إلى أن ينزعه . ويجامع ما أحب ولا ينكس ما دام عليه . وقيل إن ابن الغمر لما ولى إخميم أخبر بذلك ، فطلب تلك الصورة فى البربى فلم يجد منها غير واحدة فوق سقف البربى ، فاحتال عليها حتى أخذ الإحليل ، فكان يستعمله فيخبر عنه بعجب ؛ وقيل إنه كان فى البربى منه صور كثيرة فلم [تزل] تؤخذ حتى فقدت (١) .

قال الوصيف : حدثنى من أثقه أنهم وجدوا فى بعض البرابى أشنانة زجاج أحمر مربعة الشكل موضوعة فى طاق وفيها ماء أصفر ، فلم يدروا لم يصلح ذلك الماء فاهرقوه منها ، وأخذ أحدهم تلك الأشنانة . قال فأقامت عنده مدة إلى أن رآها رجل غريب نزل عليه ضيفا ، فاستظرفها فسأله عنها فأخبره بخبرها وبخبر الماء الذى كان فيها ؛ فتلهف ذلك الرجل على الماء ، وقال أضعتم علما عظيما وخيرا كثيرا . وقال إنكم لو حميتم الفضة وغمستموها فى ذلك الماء لصارت ذهبا ؛ قال فندمت على التفريط فى ذلك الماء . ثم قال لى أتريد أن أريك فى هذه الأشنانة عجبا ؟ قلت نعم قال زنها ، قال فوزنتها فوجدت بها ٤ أرطال سواء ، فقال لى املأها ماء أو ما أحببت ، قال ففعلت ، قال لى زنها فوزنتها ، فوجدت وزنها واحد وهى ممتلئة مثل وزنها وهى فارغة ٤ أرطال لا تزيد ولا تنقص شيئا (٢) ،

(ا) « لم يقدر على » ناقصة فى ب .

(١) قارن المقريزى ، الخطط ، ج ١ ص ٣٥ ، ٢٤٠

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٤ ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٤٧

فعجبت من ذلك . وشاع خبرها حتى اتصل ببعض الولاة فوجه إلى فأخذها منى . وكان فى هذه البرابى عجائب من الطلاسم فى قوم شتى قد درس أكثرها . وتهدم أكثر البرابى . وأما الأهرام فهى باقية على حالها ما اختل منها شىء ، ويقال إن كل ما تهدم من هذه الهياكل وتغير ، مثل بربى بوصير (١) وبربى سمنود وغير ذلك من الهياكل ، أن المنجمين تركوا الاستقصاء فى أخذ الطالع وتصحيحه فى وقت وضع الأساس ، وكذلك ما بقى منها فلقرب الطالع من الصحيح . ولا شك أن الذين بنوا هذه البرابى كانوا على بعد من الملوك ، ولم يكونوا بحضرتهم ولا تحت نظرهم . فيستقصوا النظر كما اتفق فى بناء الأهرام . وكان بالقرب من صاحب مصر فكان يتفقدها . والبرابى أكثر إنما هى فى الكور . قيل ولكل بربى من هذه البرابى خاصة ومنفعة فى الموضع الذى يكون فيه وما والى جهته ؛ وأهل تلك الديار لا يشكون أنه لما هدم بربى سمنود ، وحملت حجارته إلى أشتوم دمياط (٢) ، أن اليوم الذى فرغ فيه من هدم الحائط العرفى . دخل حباسة الإسكندرية وخربها (٣) . وكثرت الرمال فى أسباب البحر بها حتى انقطع النيل عنها فى شهور الصيف ، وكان يمر عليها صيفا وشتاء ؛ وقلت زكاة الزرع وكثر الفأر فيه والجراد والفساد الذى لم يعهد قبل ذلك . ومن العجائب المذكورة بأرض مصر فى قرية يقال لها بدرسانة (ا) ، كنيسة قديمة للروم فيها بيت يصعد إليه فى نيف وعشرين مرقى ، وهناك سرير عليه صبى ميت ؛ وتحت السرير صورة ثور عظيم من زجاج فى جوفه باطية زجاج فيها أنبوبة نحاس موضوع فيها فتيل كتان ، ويصب عليه يسير زيت فما تلبث أن تمتلىء

(ا) « بدرسانة » غير مقروءة فى ب .

(١) كانت هناك أربع مدن تحمل اسم بوصير ، ونعتقد أن بوصير المذكورة هنا هى التابعة لمدينة سمنود والتى كانت شهيرة بمعبدها القديم . أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٧٦ . وقارن البكرى ، المخطوط ، ص ٥٧ ؛ Quatremere, Mém. géog, et hist., t I, p. 112

(٢) أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٢٧٦

(٣) هو حباسة بن يوسف قائد عبيد الله الفاطمى . ولقد نجح فى محاولاته الأولى من أجل دخول مصر لحساب سيده فى دخول الإسكندرية على رأس مائة ألف مقاتل ، وذلك فى ٨ من المحرم سنة ٣٠٢ هـ = ٤ أغسطس سنة ٩١٤ . الكندى ، الولاة والقضاة ، ص ٢٦٩ ؛ ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٦ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ١ ص ١٧٢ ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ١٩٨ ؛ النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ١٨٢